

شخصيات من المحررين الشريفين (٤٠)

البراء بن عازب الأنصاري

محمد سليمان

مما لا شك فيه أن الصحابة تركوا تاريخاً وسيرة وآثاراً تُعدُّ مصدراً مهماً جداً لكل من يريد دراسة تلك المرحلة الأهم والأخطر بكل أحداثها، والتي شكلت العصر الإسلامي الأول، فإذا ما أردنا الاطلاع أو دراسة ذلك العصر؛ لا بد لنا من أن ندرس ونتدبر إرثاً حافلاً بالمواقف والأحداث والروايات للذين آمنوا برسول الله ﷺ وبدعوته سواء أكانوا من المهاجرين أم كانوا من الذين سُمّاهم التنزيل العزيز بالأنصار، تكريماً لهم واعترافاً منه بفضلهم وعظيم مواقفهم، وتوحيداً لهم بعد تنازع وتشتت، وتأليفاً لقلوبهم بعد تباغضٍ

وقتال لأكثر من قرن، حتى راح يتحدث عن مناقبهم في آيات عديدة؛ فكانوا هم ﴿...الَّذِينَ
ءَاوُوا وَنَصَرُوا﴾، وكانوا هم الذين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، وكانوا هم الذين ﴿يُؤْتِرُونَ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

فضلاً عما ورد فيهم من مناقب وفضائل وأوسمة زين بها رسول الله ﷺ صدورهم،
منها عن البراء أنه ﷺ قال: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه
الله. ومن أبغضهم أبغضه الله».

فالأنصار: قبيلتا الأوس والخزرج؛ وهما أخوان لأب واحد وأم واحدة.

فالأوس هم: بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة
ابن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان.

والخزرج هم: بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة
ابن غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان.

وأمهما: قبيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن
حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وقيل: قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن
سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاة. وبما أن قبيلة هي أمهم
سموا بني قبيلة.

يقول ابن الأثير الجزري: قبيلة اسم أم قديمة وهي قبيلة بنت كاهل. فهي جدة
للأنصار ينسبون إليها، وهي بنت كاهل بن عذرة. يقول ابن منظور: وقبيلة: أم الأوس
والخزرج. وفي حديث سلمان: ابنتي قبيلة؛ يريد الأوس والخزرج قبيلتي الأنصار. وقبيلة:
اسم أم لهم قديمة وهي قبيلة بنت كاهل.

ولم تكن تسميتهم بقبيلة تعريضاً بهم أو قدحاً بأمهم، ولعله كان مدحاً لهم حتى
أنه ﷺ وكما روي عنه أنه قال:

«إن الله أمدني بأشدّ العرب ألسناً وأدرعاً بابني قبيلة الأوس والخزرج». وقد كانوا يسمونهم بذلك، فقد ذكروا أنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة، كان أكثر أهل المدينة قد خرجوا ينظرون إليه، فلما ارتفع النهار وقلصت الظلال، واشتدّ الحرّ؛ يتسوا منه فانصرفوا، فكان أول من رآه رجل من اليهود. وهو في نخل له، فصاح بأعلى صوته: يا بني قبيلة، هذا جدكم قد جاء يعني حظكم، فخرجوا وتلقوه. وكذا سيدة نساء أهل الجنتّة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، دعتهن بأبناء قبيلة في قولها: «حتى حبستني قبيلة نصرها والمهاجرة وصلتها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع»، «إيهاً بني قبيلة، اهتضم تراث أبي، وأنتم بمراى ومسمع، تبغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، ولكم العدة والعدد...».

وليس هذا تعريضاً، فخلق السيدة بأبي ذلك، فهم هكذا عرفوا يومذاك^١. ومما جاء في فضلهم وكذا الثناء عليهم ومدحهم ما أخبر به عدي بن ثابت، أنه قال: سمعت البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق؛ من أحبهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله!» قال شعبة، قلت لعدي: أنت سمعت من البراء! قال: إياي يحدث.

لقد كانت هجرتهم واحدة من اليمن بعد انهيار سدّ مأرب، واستقرّ بهم المقام في يثرب، حيث الأرض الخصبة، والينابيع الوفيرة، والمزارع الكثيرة، والأعمال الزراعية والتجارية الواسعة النافعة...، إلا أنّهم وبدل أن يعيشوا حياةً طيبةً، أنهكوا بحروب ووقائع بينهم دامت قرابة مئة وعشرين عاماً، والتي لا يعلم إلا الله تعالى كم أخذت منهم من الحرث والنسل، وقد كانت بدايتها بيوم سمير، ونهايتها بيوم بُعث قبل الهجرة المباركة لرسول الله ﷺ إلى المدينة بخمس سنوات، وقد تطلّع عقلاؤهم إلى من يصلح بالهم، يضمّد

١. انظر لسان العرب، لابن منظور ١٣ : حرف القاف: قيل؛ بحار الأنوار ١٩ : ١٢١؛ الاحتجاج، للطبرسي؛ كتاب السقيفة وفدك، للجوهري (ت ٣٢٣ هجرية) ١٠٠ - ٩٩؛ ومسنّد الإمام أحمد رقم ١٨٠٢٠.

جراحهم، يجمع شملهم، يوحد صفوفهم، يُشخص لهم عدوهم، يقوي شوكتهم ضدّ من يريد الكيد لهم...، وكأنّ الأنظار تنتظر، والقلوب تنتظر منقذاً لهم، فكان موسم الحجّ، وكانت العقبة في منى حيث اللقاء الأول مع طائفة من الخزرج لم يتجازوا ستة أشخاص، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليهم القرآن.. وهم يسمعون بحماس لما يقوله لهم، وينصتون باطمئنان لتلاوته آيات قرآنية مباركة...

ثمّ قال بعضهم لبعض: «يا قوم تعلمون والله يا قوم؛ إنّه للنبيّ الذي توّعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام».

وبعد أن أسرعوا إلى إجابة دعوته ﷺ وأسلموا..

قالوا: «إنّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدّين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعزّ منك».

ثمّ كانت العقبة الأولى، وهكذا الثانية فالأخيرة، ثمّ كانت يشرب الموعد، المدينة المنورة فيما بعد برسول الله ﷺ ودعوته المباركة بعد هجرته الشريفة إليها، وكانت اللقّات التي أثرت عن أوس وخزرج إخوة مؤمنين متآخين متحابين في الله تعالى، تجمعهم صفة واحدة (الأنصار)..، وبهجرتهم ﷺ لهم، ووجوده المبارك بينهم، انتهت الضغائن والأحقاد، ومنعت أيدي اليهود، الذين كان لهم دور خطير في إذكاء العداوة والقتال بينهما وتمويله..! فأغاض هذا يهود المدينة، فكان شأس بن قيس من كبار اليهود وأثريائهم في يثرب؛ قد مرّ على نادٍ فوجد فيه الأنصار تحيط بهم أجواء الفة وتفاهم ومودّة لم ترق له، فأغرى شاباً نزقاً يحفظ أشعار يوم بُعث، راح يتغنّى بها، يذكرهم به، وبما فيه من آلام ومصائب وأحن؛ يلقي الكراهية بينهم، يحرك الضغائن في قلوبهم، فيثيرهم...

يقول الواحدي: وكان شيخاً فدعاً في الجاهليّة عظيم الكُفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فمرّ على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج

فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَاعَتِهِمْ وَأَلْفَتَهُمْ وَصَلَحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأَ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا بِهَا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ شَابًّا مِنْ الْيَهُودِ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: ااعْمَدُ إِلَيْهِمْ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِيَوْمِ بُعَاثٍ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنشَدَهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ، وَكَانَ بُعَاثٌ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ، فَفَعَلَ فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَأَّبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينِ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَحَدُ بَنِي سَلْمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ فَتَقَاوَلَا وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ رَدَدْتُهَا الْآنَ جَذَعَةً، وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا وَقَالَا: قَدْ فَعَلْنَا، السَّلَاحَ السَّلَاحَ، مَوْعِدِكُمُ الظَّاهِرَةُ وَهِيَ حَرَّةٌ، فَخَرَجُوا إِلَيْهَا فَانضَمَّتِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى دَعْوَاهُمُ النَّبِيِّ كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، بَدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَنْ أَظْهَرُكُمْ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنِكُمْ، فَتَرَجِعُونَ إِلَيَّ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفْرًا؟ اللَّهُ اللَّهُ».

فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزَعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَبَكُوا، وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يَعْنِي الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يَعْنِي شَاسًا وَأَصْحَابَهُ ﴿يُرْذُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْذُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

قال جابر بن عبد الله: ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله ﷺ فأومأ إلينا

بيده، فكفنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ يَوْمًا أَقْبَحَ وَلَا أَوْحَشَ أَوْلًا وَأَطْيَبَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ!»!

قد أطفأ الله عز وجل عنهم كيد عدو الله شاس، وأنزل الله في شأن شاس بن

قيس وما صنع قوله:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^١

وأنزل في شأن أوس بن قبيصة أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج وهما اللذان توثبا وتقاولا؛ فقال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة، أي حامية... ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَادُونَ عَلَىٰ آلِهِمْ وَيُكْفَرُونَ بِهِمْ وَيَسْتَخِفُّونَ بِاللَّهِ عَدَاةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٢

١. سورة آل عمران: ٩٨ - ٩٩ .

٢. سورة آل عمران: ١٠٠ - ١٠٥ .

وهكذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف بقوة كلما ظهرت عصبية هنا وتحزّب هناك، وينهى عنها بقوله:
«وأنا بين أظهركم دعوها - أي العصبية - فإنها منتنة!»

أ أوسي وخزرجي؟

بعد هذه المقدمة المختصرة عن الأوس والخزرج؛ نحن أمام صحابي أنصاري، وهو المتفق عليه، إلا أنه اختلف في كونه من الخزرج أو من الأوس؛ القبيلتين الكبيرتين المعروفتين، فقد وجدت اختلافاً في نسبته لإحدى القبيلتين؛ الأوس والخزرج وهما من بني غسان بن الأزد الكهلاني القحطاني.

ففي أسد الغابة، لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة أو جدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك ابن الأوس الأنصاري الأوسي المدني، وكنيته أبو عمرو، أبو عمر، أبو طفيل، والأصح أبو عمارة، فهو من قبيلة الأوس، وهي وقبيلة الخزرج من بني غسان بن الأزد الكهلاني القحطاني. وكذا هو في الإصابة، لابن الحجر المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. وأيضاً عن ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ مع بعض الاختلاف، إلا أنه يُنهي نسبه إلى الأوس فهو:

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي..

إلا أن نسبه في كتاب الاستيعاب، لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية جاء مختلفاً، فقد عدّه من الخزرج، فهو البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة

١. انظر السيرة النبوية، لابن هشام ٢ : ٤٢٨ إسلام الأنصار، وص ٥٥٦، وغيرها من المصادر؛ وأسباب النزول، للواحيدي؛ وكتب التفسير : الآيات .

ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي الخزرجي.
وما ذكره ابن عبد البر في استيعابه، لم يكن خطأً أو سهواً، فهو وإن كان مخالفاً لما
عليه الآخرون أعلاه من أن الرجل أوسيٌّ لا خزرجيٌّ، إلا أنني وجدتُ ابن سعد المتوفى
سنة ٢٣٠ هجرية وهو الأقدم منهم في طبقاته يذكر نسبه التالي:
البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن
الخزرج. وبالتالي فهو خزرجيٌّ.

مما يعني أن ابن عبد البر لم ينفرد ولم يشتبه بل هو تبع ابن سعد.
وأما ابن حجر في فتح الباري: فقد خطأً من قال إنه خزرجيٌّ، مبيّناً سبب ذلك وهو
أنَّ في نسبه (الخزرج) فظنوه أخا الأوس الذي تنسب إليه القبيلة المعروفة، وإنما هو من
نسل الأوس... وهذا قوله في رده على من قال: ... والبراء خزرجي ... وهو خطأ فاحش
فإن البراء أيضاً أوسي؛ لأنه بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن
الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس يجتمع مع سعد بن معاذ في الحارث بن
الخزرج والخزرج والد الحارث بن الخزرج وليس هو الخزرج الذي يقابل الأوس وإنما سمي
على اسمه..

وبالتالي أن هناك نسبين للرجل ذكرا في المصادر التي ترجمت له، وإذا أخذنا بما ذكره
ابن سعد؛ لأنه الأقدم وتبعه ابن عبد البر، فالبراء بن عازب من قبيلة الخزرج، وعليه
البعوي، والصفدي، وإلا فهو أوسي... أما كنيته فأبو عمارة.^١
وأبوه عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة أو جدعة بن حارثة بن

١. أسد الغابة، الباء؛ والإصابة، لابن حجر : ٦١٨؛ والبداية والنهاية، لابن كثير ٨ : البراء بن عازب؛
والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: البراء بن عازب الخزرجي؛ الطبقات، لابن سعد ٤ :
٣٦٤؛ فتح الباري، لابن حجر ٧ : ١٢٣؛ معجم الصحابة، للبعوي : ١٣٥ ؛ ونكت الهميان في نكت العميان
للصفدي ١ : ١٥٥ .

الحارث بن عمرو بن مالك، حظي بصحبة رسول الله ﷺ.

يقول ابن سعد في طبقاته: «ولم نسمع لعازب بذكر في شيء من المغازي وقد سمعنا بحديثه في الرحل الذي اشتراه منه أبو بكر...». يأتي في رواية البراء عن الهجرة. وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب بن أنس بن زيد من بني مالك بن النجار بن الحزرج، فهي خزرجية، ويُقال: أمه أم خالد بنت ثابت بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد ابن الأبرج، وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الحزرج، بنت عم أبي سعيد الخدري^١.
أبناءؤه :

ذكرت المصادر أن لهذا الصحابي أبناءً، ففي الطبقات: فولد البراء يزيد، وعبيداً، ويونس، وعازب، ويحيى. وأم عبد الله، ولم تسم لنا أمهم.
وفي المعجم الصغير ذكر أبناء البراء بن عازب مع إخيهم عبيد، حيث يقول: عبيد بن البراء بن عازب أخو الربيع ولوط ويزيد أبناء البراء، من الرابعة، ثقة.
فيما ذكر آخرون أن له إبراهيم والربيع ولوطاً ويزيد.
فمن البخاري في تاريخه الكبير: إبراهيم بن البراء بن عازب الأنصاري الكوفي أخو الربيع ويحيى، روى عن أبيه...

الربيع بن البراء بن عازب الأنصاري الكوفي أخو إبراهيم بن البراء ويحيى بن البراء ويزيد بن البراء، يُعدُّ من التابعين الذين رووا الحديث عن الصحابة وكانت روايته في الغالب عن أبيه، ثقة في الرواية وعداده في أهل الكوفة.
روى له الترمذي حديثاً واحداً مقروناً بغيره، وابن ماجه.

١. أسد الغابة، لابن الأثير رقم ٣٨٩؛ الإصابة رقم ٦١٨؛ البداية والنهاية، لابن كثير ٨ : الاستيعاب، لابن عبد البر ١ : رقم ١٧٣؛ والطبقات، لابن سعد: البراء..

وجاء ذكره في المسند؛ حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت ربيع بن البراء يحدث عن البراء أن رسول الله ﷺ كان إذا أقبل من سفر، قال: آييون تائبون عابدون لربنا حامدون!

هذا وذكروا أن له بنتين أخريين؛ الأولى اسمها حفصة، بدليل روايتها عن عمها في رواية قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلي عن حفصة بنت البراء بن عازب عن عمها عبيد بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي».

لكنها ذكرت في سند ما رواه ابن مندة؛ فقال: عن حفصة بنت عازب عن عمها... وقالوا عنه: إنه وهم، والصواب حفصة بنت البراء بن عازب. والأخرى اسمها «تحيا». فيكون له ثلاث بنات.

وأما إخوته، فمنهم عبيد، الذي شهد وأخوه البراء مع عليٍّ مشاهده كلَّها؛ كما عند الذهبي حيث ذكر ما قاله أبو عمر بن عبد البر: عبيد بن عازب أخو البراء هو جد عدي بن ثابت روى في الوضوء والحيض، شهد عبيد والبراء مع عليٍّ المشاهده كلها.

وكان من العشرة الدعاة إلى الإسلام، الذين وجههم عمر إلى الكوفة مع عمار بن ياسر. وكان من أعلام يوم الرحبة سنة ٣٥ هجرية، الذين شهدوا لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بجديث الغدير...^١

البراء وروايته عن الهجرة والمهاجرين الأوائل:

لقد أسلم هذا الصحابي وهو ما زال في نعومة أظفاره، وهو أمر لم أجد أحداً يتردد

١. انظر طبقات ابن سعد؛ والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري ١: ٣٥٨ رقم ٢٦٨٦؛ التاريخ الكبير للبخاري ١: ٢٧٤، باب الباء، رقم ٨٨٤؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي رقم ١٨٥٥؛ مسند الإمام أحمد رقم ١٧٩٩٨؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥: ١٨٨؛ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للعلامة الأميني.

فيه، والذي يظهر أنه أسلم وهو فتى صغير حين قدر أن يلتقيه فتية آمنوا برّبهم قبله، كمصعب بن عمير الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة يعلمهم مفاهيم وأحكام الدين، وكذا ابن أمّ مكتوم...؛ وإسلامه يستدعينا إلى معرفة من هاجر من المسلمين إلى المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها.

فقد ذكر ابن إسحاق: فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبأيعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وآوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إنّ الله عزّوجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تآمنون بها».

فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

وفي هذا ذكرت المصادر روايات عديدة للبراء عمن هاجر من المسلمين إلى المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ منها:

عن طريق أبي إسحاق عن البراء قال: «أول من أتانا مهاجراً مصعب بن عمير، ثمّ قدم ابن أمّ مكتوم... وفي خبر آخر عن ابن إسحاق أيضاً أنه سمع البراء يقول: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أمّ مكتوم، فجعلنا يقرئان الناس القرآن».

صحيح أنّ هجرة مصعب بن عمير إلى المدينة كانت قبل هجرة رسول الله ﷺ إلا أنّ هجرة ابن أمّ مكتوم فيها خبر آخر أنّها كانت بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة ببسبر، فعن ابن سعد في طبقاته أنه قال: أسلم ابن أمّ مكتوم بمكة قديماً، وكان ضريب البصر، وقدم المدينة مهاجراً بعد بدر ببسبر، فنزل دار القراء، وهي دار مخزومة بن نوفل، وكان يؤذن للنبي ﷺ مع بلال.

ولكن ابن سعد ذكر بعد خبره هذا روايتين تثبتان هجرة ابن أمّ مكتوم قبل وصول رسول الله ﷺ المدينة فيهما قول إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان أول من قدم

علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، أخو بني عبد الدار بن قصي، فقلنا له:

ما فعل رسول الله ﷺ؟

فقال: هو مكانه وأصحابه على أثري.

ثم أتانا بعده عمرو بن أمّ مكتوم الأعمى، فقالوا له: ما فعل من ورائك

رسول الله ﷺ وأصحابه؟ فقال: هم أولى على أثري.

وفي قول آخر للبراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين: مصعب بن عمير،

أخو بني عبد الدار، ثم أتانا بعده عمرو بن أمّ مكتوم، ثم أتانا بعده عمار بن ياسر،

وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب.

وقال أيضاً: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار،

ثم قدم علينا ابن أمّ مكتوم الأعمى أحد بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين

راكباً.

فقلنا: ما فعل رسول الله؟

قال: هو على أثري.

ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه.

وقال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأتُ سوراً من المفصل. (المفصل هو سور

القرآن القصيرة التي كثر الفصل بينها بالبسملة، سُمِّي مفصلاً لكثرة فواصله).

وقد اختلف في تحديده هل يبدأ من سورة ق أو من الحجرات، واختلف كذلك في

طواله وأوساطه وقصاره على أقوال.

وعنه أيضاً: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ، مصعب بن عمير وابن أمّ

مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن. ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في

عشرين.

ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد

والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى

في سور مثلها...

وبما أن البراء ذكر هجرة رسول الله ﷺ فهذه روايته عنها:

عن أبي إسحاق عن البراء قال: اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى رحلي!

فقال له عازب: لا؛ حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما والمشركون يطلبونكم؟!!

قال: أدلجنا من مكة فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل ناوي إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها، فنظرت إلى بقية ظلها فسويته، ثم فرشت لرسول الله ﷺ فيه فروة ثم قلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم ذهبت أنفض ما حولي هل أرى من الطلب أحداً، فإذا أنا براح يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي نريد يعني الظل، فسألته لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من قريش فسماه لي فعرفته، فقلت: وهل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، قال: أمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفذ كفيه فقال: هكذا فضرب إحدى يديه بالأخرى فحلب لي كتبه من لبن، وقد رويت لرسول الله ﷺ معي أداة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت، ثم قلت: قد أتى الرحيل يا رسول الله، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ﷺ، فقال: لا تحزن إن الله معنا، فلما دنا فكان بينه وبيننا قيد رحمين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: ما يبكيك؟

قلت: أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك!

قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم اكفناه بما شئت». قال: فساخت به

فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله

أن ينجبني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها، فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك.

فقال له رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك»، ودعا له رسول الله ﷺ، فانطلق راجعاً إلى أصحابه. ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلاً، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه!

فقال رسول الله ﷺ: «إني أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، وخرج الناس حين دخلنا المدينة في الطريق وعلى البيوت والغلمان والخدم صارخون جاء محمد، جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد جاء رسول الله! فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر...»

عمره :

إذن فإسلامه كان في المدينة وهو في عنفوان شبابه، ووقت ولادته وعمره يمكن استفادته من أخباره عن منعه - مع عظيم رغبته - من المشاركة في مشاهد القتال الأولى: وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية، أو وقعة أحد سنة ٣ هجرية، أو وقعة الخندق سنة ٥ أو ٤، فأقوال المؤرخين قد اختلفت في أي غزوة أجازه وأذن له رسول الله ﷺ بعد أن اتفقت كلمتهم على أنه لم ينل الإذن في غزوة بدر الكبرى، أو في غزوة أحد أم في غزوة الخندق، وبالتالي تكون أول غزوة ومشاركة فعلية له غير مكتف فيها بالحضور، ويتبين بذلك عمره؟!!

فقول ذهب إلى أن رسول الله ﷺ وهو يُعْبَى المؤمنين للقتال، ردّه عن معركة بدر؛

١. سير أعلام النبلاء، للذهبي ١ : ٢٦١ ؛ الطبقات ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ أسد الغابة، لابن الأثير ؛ الموسوعة الفقهية (٤٨ / ٣٣) ؛ فتح الباري ٢ : ٢٤٩ ؛ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ١ : ١٨٠ ؛ الطبقات، لابن سعد ٤ : ٣٦٥ - ٣٦٦ وغيرها .

استصغره، وبعد رده هذا أجازته في غزوة أحد، فيما هناك قول آخر أنه ﷺ أجازته في غزوة الخندق، رده رسول الله ﷺ عن بدر، استصغره، وأول مشاهدته أحد، وقيل الخندق. وأما في بدر الكبرى فلم يكن فيها من المقاتلين، وهو المؤكد؛ لاستصغاره وجماعة حيث لم يبلغوا خمسة عشر عاماً، فعنه: استصغرنى رسول الله ﷺ يوم بدر وأنا وابن عمر فردنا فلم نشهداها.

وفي الإصابة عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر.. الطبري: ورد رسول الله ﷺ يومئذ جماعة استصغروهم - فيما زعم الواقدي - فمنهم فيما زعم عبد الله بن عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأسيد بن ظهير، وعمير بن أبي وقاص، ثم أجاز عميراً بعد أن رده، فقتل يومئذ.

فمتى حصل الإذن؟

ذلك مردد بين غزوتي أحد والخندق، ففي أسد الغابة: رده رسول الله ﷺ عن بدر، استصغره، وأول مشاهدته أحد، وقيل الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة. وعن الطبري أيضاً: في معركة أحد سنة ٣؛ عرض رسول الله ﷺ المقاتلة؛ فأجاز من أجاز، ورد من رده، وكان فيمن رده زيد بن ثابت وابن عمر وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وعرابة بن أوس..

وقال محمد بن عمر: أجاز رسول الله ﷺ البراء بن عازب يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يجز قبلها.

وعن ابن هشام في السيرة أن هذا وقع في غزوة أحد حيث يقول: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري، ورافع بن خديج، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقبل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازته، فلما أجاز رافعاً، قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعاً، فأجازته. ورد رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجار، والبراء بن عازب، أحد بني حارثة، وعمرو بن حزم أحد بني مالك بن النجار، وأسيد بن ظهير أحد

بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة..

وفي قول: أجاز رسول الله ﷺ البراء بن عازب يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، ولم يُجز قبلها.

إذن فالأقوال اختلفت، ولعلَّ حضوره في وقعة أحد في السنة الثالثة أو في وقعة الخندق في السنة الخامسة للهجرة النبوية الشريفة، هو أول مشاركة له في وقائع الإسلام، وكان هو في السنة الخامسة عشرة من عمره، ويُعدُّ دليلاً على أنَّ ولادته كانت بعد البعثة النبوية المباركة بثلاث سنوات، أي قبل الهجرة بعشرة أعوام، وأنه في يثرب ولادةً ونشأةً وإسلاماً^١.

المشاهد :

لقد عرف هذا الصحابي ومن هم بسنَّه بعضهم وشدة حماستهم لرفقة رسول الله ﷺ وهو يتوجَّه للقاء من يريدون الكيد به وبرسالته وبمن تبعه من المؤمنين، فما من غزوة إلاَّ وتجدهم يرافقون إخوانهم من المهاجرين والأنصار؛ فلعلَّهم يحظون بالمشاركة فيها حتى ينالوا أجراً جزيلاً ويسجلوا فوزاً عظيماً، إلاَّ أنَّهم يصطدمون بموقف رسول الله ﷺ فيردُّهم وينعهم عن القتال فيها؛ لصغر سنِّهم رافةً بهم ورحمةً، ولأنَّ هناك عمراً معيناً يؤهلهم لساحات الوغى والقتال لم يبلغوه بعدُ، ومع هذا لا يتركون تلك الميادين بالمرَّة بل يكتفون بتقديم الدعم والمساندة لإخوانهم من خلف خطوط القتال، أو يخلفهم رسول الله ﷺ في حرس المدينة..

لقد كان البراء بن عازب قوي العقيدة حريصاً عليها، مشاركاً في ميادين الجهاد، وليس هذا غريباً عليه وهو المعروف بقوته وجرأته وشجاعته... وإن فاتته معركة بدر في

١. انظر تاريخ الطبري ٢ : ٤٧، ٦١، سنة ٢، ٣؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، باب الباء والراء؛ الإصابة رقم ٦١٨؛ وطبقات ابن سعد ٥ : ٢٨٦، ٣٦٨؛ السيرة النبوية، لابن هشام ٣ : ٧٠؛ غزوة أحد .

السنة الثانية للهجرة أو معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة على الاختلاف؛ حين ردّه النبي ﷺ لصغر سنّه، أي لم يبلغ الحلم، الذي يؤهله للقتال، فهو وإن لم يشترك بقتال في المواقع التي ردّها فيها، لكنه لم يترك ساحتها، فقد كان حاضراً في جميع الغزوات، وصحيح أنه لم يذكر في غزوات، إلا أن هذا لا يدل على عدم حضوره أو مشاركته أو روايته، فكثير غيره لم يذكر لهم المؤرخون أسماءهم في بعض الغزوات، فهم ليسوا ملزمين بذكر جميع أسماء المشاركين، وقد يبلغ عددهم الألف في بعض الغزوات كفتح مكة ومعركة حنين و... وبالتالي يطول الكلام كثيراً، وقد يكتفون بذكر من يكون له دور مؤثر أو بارز، وليس كلّ المقاتلين يسجلون دوراً في المعارك والإعداد لها..

ولكن الرجل كان مراقباً جيداً للوقائع والأحداث، فما من غزوة إلاّ ونجد له رواية فيها، بدءاً بيوم بدر الكبرى حيث ورد عنه أنه قال: «استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر فلم نشهدها».

يبدو قوله لم نشهدها أي لم يشارك فيها مقاتلاً. إلاّ أنه بقي مع من ردّ من الصحابة الصغار لحماية الذراري والنساء.

كما أنه لم يتأخر عن المواقع الأخرى، حتى أنه كان يقول: «غزوت مع رسول الله ﷺ ثمان عشرة غزوة». وفي قول آخر: «... خمس عشرة غزوة». ولم يُنقل أنه تخلف عن غزوة أبداً بدءاً بغزوة أحد على قول؛ فالذهبي أشار إلى مشاركته في غزوة أحد، ويبدو أنه استفاد ذلك من قول البراء نفسه: عرضت أنا وابن عمر على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغرنا، وأجازنا يوم أحد. فيما هناك مصادر أخرى تؤكد عدم مشاركته في أحد؛ لأن رسول الله ﷺ ردّه لصغر سنّه مع غيره من الصحابة الذين كانوا في عمره. إلاّ أن الأخذ بوصفه لمعركة أحد وصفاً يدل على حضوره لها ومواكبته لأحداثها وحتى التحضير لها من قبل رسول الله ﷺ كما يأتي.

في غزوة أحد :

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فما من معركة إلاّ ويسبقها إعداد من طرفي المواجهة والقتال، وسواء أكان هذا الإعداد والتحصير في غزوة بدر أو أحد أو الأحزاب على اختلاف الأقوال، ولعلّ أرجحها كان في معركة أحد، التي ما إن عزم ﷺ على ترك المدينة لمواجهة مشركي مكة القادمين خارجها، فإنّ قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر؛ لأنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون، قال أبو سفيان:

يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاككم، فإنّ الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد!

فلما قريش غزوا رسول الله ﷺ يوم أحد أذنوا لنسائهم في البكاء والنوح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل وأخرجوا معهم النساء...

قال ابن إسحاق: تعبأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.. ورسول الله ﷺ في أثناء إعداده لهذه المعركة، كان للفتيان رغبة عظيمة للمشاركة فيها، إلاّ أنه ﷺ أذن لبعض منهم ومنع آخرين، كما ذكرنا^١.

وغداً ينظّم صفوف المؤمنين، وكانوا سبعمائة رجل، ويجعل لهم مواضع القتال؛ ليقفوا فيها ولا يفارقوها، فكان للرماة وعددهم خمسون بقيادة عبد الله بن جبير موقعهم على باب الشعب على بعد نحو ثلاثة كيلو مترات من المسجد النبوي، في أعلى جبل صغير، يسمى جبل عينين، وبعد وقعة أحد سمي جبل الرماة، وضعهم ﷺ هنا؛ ليدرأوا عن المسلمين شرّاً أعدائهم ويحموا ظهورهم من كمائن المشركين،...

فمن البراء بن عازب أنه قال: ورضّ النبي ﷺ الصفوف، وقسّم المهّمات، ووضع

١. انظر السيرة النبوية، لابن هشام: وقعة أحد، من أجازهم الرسول ﷺ وهم في الخامسة عشرة؛ البخاري، التاريخ الصغير ١: ١٤٦؛ تاريخ الطبري ٢: ٤٧ السنة ٢، وقعة بدر الكبرى: ٦١ السنة ٣ غزوة أحد.

الرماة على الجبل، وقال لهم:

«إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»...
«إن رأيتمونا قد هزمتناهم حتى أدخلناهم مكة، فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمتنا حتى أدخلونا المدينة، فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم».
لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال ﷺ: «لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا»..

وبدأ القتال بين الفريقين، وسجل المسلمون نصراً كبيراً، وألحقوا بالمشركين هزيمةً يقول عنها البراء: فلما لقينا، هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن.. فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن!

لكن النصر لم يدم طويلاً بعد أن تآقت نفوس جمع من المقاتلين للغنيمة، وخاصة أولئك الرماة؛ الذين أمرهم الرسول ﷺ بعدم مغادرة مواضعهم على الجبل، فعصوا الرسول ﷺ رغبةً في الغنائم، وتركوا مواضعهم، ونزلوا إلى حيث تتيسر لهم الغنائم، فكشف ظهر المسلمين، فاستغل المشركون هذه الثغرة الخطيرة، حتى انقلب النصر الأول إلى هزيمة خطيرة، وقد أشيع خبر في الميدان أن رسول الله ﷺ قتل، فلاذ بالفرار جمع من المسلمين، لا يلوون على شيء، واضطرب آخرون منهم، وأصيب رسول الله ﷺ بجروح شديدة وكسرت رباعيته واستشهد سبعون من الصحابة، وكادت هذه الهزيمة أن تطيح بالمشروع الإسلامي، لولا رحمة الله تعالى!

فراح البراء يذكر ما آلت إليه أمور المعركة، مبتدئاً كلامه من النقطة الخطيرة حين عصوا الرسول ﷺ وقد ضعفت عزائم لا فقط الرماة من فوق الجبل، بل حتى الذين كانوا في ساحة القتال، القريبة من رسول الله ﷺ فسأل لعابهم وهم يرون الغنائم التي تركها مشركو

قريش، الذين فرّوا من المعركة بعيداً...

إِنَّهَا الْغَنَائِمُ!

التي كانت السبب الرئيس في الانكسار الذي حلّ بالساحة المسلمة!
فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما
تنتظرون؟!

فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟!
قالوا: والله لنائين الناس، فلنُصيبَنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم، صرفت وجوههم، فأقبلوا
منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أхраهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غيرُ اثني عشر رجلاً،
فأصابوا منا سبعين..

وفي قول آخر له عن الرماة: فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة!
فقال عبدالله: عهد إلي النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم
فأصيب سبعون قتيلاً.

وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟

فقال: لا تجيبوه.

فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟

قال: لا تجيبوه.

فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟

فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا!

فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك.

قال أبو سفيان: اعل هبل.

فقال النبي ﷺ: «أجيبوه».

قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل!

قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم!

قال النبي ﷺ «أجيبوه».

قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «الله مولانا ولا مولى لكم»! قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني!

غزوة الخندق :

في السنة الخامسة للهجرة، وقعت الخندق، ولعلها تعدُّ أول مشاركة فعلية للبراء بن عازب في الغزوات يومذاك في قول، حيث ورد عنه وهو يتحدث عن حفر الخندق، الذي

أمرهم به رسول الله ﷺ:

كان النبي ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب ولقد رأيتُه وارى التراب بياض بطنه

يقول:

لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْتَنَا

وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا

وَوَثَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقَيْنَا

إِنَّ الْأَلَاءَ قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا

إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةَ آبِينَا!

وفي لفظ آخر أنه قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ؛ رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعتُه يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

١. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد رقم ٢٨١٧.

فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قِينَا
إِنَّ الْأُلَاءَ رَغِبُوا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا
وَفِي لَفْظٍ آخَرَ:

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا ...

قال: يَدُّ صَوْتُهُ بِآخِرِهَا! أَوْ يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ: أَيْنَا أَيْنَا
وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: حَتَّى وَارَى التَّرَابَ شَعْرَ صَدْرِهِ، وَقَالَ فِيهِ:

إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا!

.. لما كان حيث أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق
صخرة عظيمة ... انظر روايته:

لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة
لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكيننا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: «باسم الله،
فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها
الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثالث الآخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس،
والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: باسم الله، فقطع بقية الحجر،
فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا
الساعة..»^١.

في الحديبية:

في شهر ذي القعدة من آخر السنة السادسة للهجرة النبوية، كانت هناك غزوة

١. البخاري (٦٨٠٩) ؛ ومسلم : ١٨٠٣ ؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٨٣٧ ؛ الجمع بين
الصحيحين ٢٣١٣ ؛ البداية والنهاية ٤ : لابن كثير، غزوة الخندق أو الأحزاب وغيرها .

لا قتال فيها، فرسول الله ﷺ خرج من المدينة نحو مكة المكرمة يريد العمرة ولا يتبغي حرباً ضدَّ مشركي قريش، ومكة تحت أيديهم.

واصطحب رسول الله ﷺ معه ١٤٠٠ من أصحابه، وما إن سمعت قريش بمقدمهم، وأنهم على مشارف مكة المكرمة، حتى غضبت وأبت أن يدخلها الرسول ﷺ، فقرروا المسير نحوه لعلهم يستطيعون منعه من ورودها بهذه الكيفية حفظاً لكبريائها أن يחדش، أو تذلل مكانتها بين العرب، أو إبرازاً لقدرتها على التصدي له، وأنها ما زالت قادرةً قويّةً... وكان للبراء حضور في هذه الغزوة، وراح يروي ما جرى فيها بدءاً من وصولهم الحديبية وعقد الهدنة حيث يقول:

«انتهينا إلى الحديبية وهي بئر قد نزحت ونحن أربع عشرة مائة، قال: فنزع منها دلو فتمضمض النبي ﷺ منه، ثم مجَّه فيه ودعا، قال: فروينا وأروينا». وعنه أيضاً :

«كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة بالحديبية، والحديبية بئر فزحناها، فلم نترك فيها شيئاً، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فجاء فجلس على شفيرها، فدعا بإناء، فمضمض ثم مجَّه فيه، ثم تركناها غير بعيد، فأصدرتنا نحن وركابنا نشرب منها ما شئنا».

... ثمَّ قال للناس: انزلوا؛ قيل له: يا رسول الله! ما بالوادي ماء نزل عليه، فأخرج سهماً من كنانته. فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قليب من تلك القلوب. فغرز في جوفه، فجاش بالروء حتى ضرب الناس عنه بعطن^١.

واختلفت الأقوال فيمن نزل بالسهم:

قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ، فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان؟!

١. ضرب النَّاسُ بَعَطْنَ: أناخوا حول الماء بعد السَّقْيِ .

وفي أسد الغابة: وكان البراء يقول: أنا الذي أرسل معه النبي ﷺ السهم إلى قليب الحديبية، فجاش بالري، وقيل: إن الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب؛ وهو الأشهر.

بيعة الرضوان :

بيعة مباركة، تعددت أسماءها، سميت ببيعة الحديبية؛ لأنها وقعت في منطقة الحديبية، وسميت ببيعة الشجرة؛ وهي شجرة من شجر السَّمُر (بفتح السين المهملة وضم الميم) وهو شجر الطلح، كانت في ذلك المكان، حيث كان النبي ﷺ جالساً في ظلها، وسميت ببيعة الرضوان، وجاء كلا هذين الاسمين (بيعة الشجرة وبيعة الرضوان) من الآية المباركة ١٨ سورة الفتح:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^١

الشيخ الطبرسي: قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة، فقال أصحابه: خلأت الناقة، فقال ﷺ: «ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل»، ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى أهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه، فقال: يا رسول الله مالي بها حميم وإني أخاف قريشاً لشدة عداوتي إياها، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان، فقال: «صدقت».

فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فأرسله إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا الناس إلى البيعة، فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة، فاستند إليها وباع الناس على أن

١. سورة الفتح : ١٨ .

يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا، قال عبد الله بن مغفل: كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم ويبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنما يبايعهم على أن لا يفرّوا».

وقد روي عن البراء بن عازب أنه قال:

تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا! وكان جابر بن عبد الله رضوان الله عليه يقول عن هذه البيعة:

إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكنه يبايعنا على أن لا نفرّ، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجد بن قيس أخو بني سلمة، كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة، قد اختبأ إليها، يستتر بها من الناس...

ولهذا لاحقهم نداء العباس بن عبد المطلب لما فرّوا في معركة حنين، بعد أن أمره رسول الله ﷺ.. وسياطينا. يا أصحاب الشجرة، أو السمرة، يعني أهل بيعة الرضوان!...^١ وعن بنود المواعدة :

وبعد مفاوضات جرت بين رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو عن مشركي قريش، دوّنت بنود صلح الحديبية، وهي قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم، وقيل: هي بئر سمي المكان بها، وقيل: شجرة حدباء صغرت وسمي المكان بها.. قال البراء بن عازب: كتب عليُّ بن أبي طالب ﷺ الصلح بين النبي ﷺ وبين

١. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية رقم ٣٩١٩.

المشركين يوم الحديبية، فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله ﷺ فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك.

فقال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: امحه.

فقال: ما أنا بالذي أمحاه. فمحاه النبي ﷺ بيده. قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً، ولا يدخلها بسلاح إلاّ جلابان السلاح.^١

وعنه أنه قال: وادع رسول الله ﷺ المشركين يوم الحديبية على ثلاث:

من أتاهم من عند النبي ﷺ لن يردوه.

ومن أتى إلينا منهم ردوه إليهم.

وعلى أن يجيء النبي ﷺ من العام المقبل وأصحابه فيدخلون مكة معتمرين، فلا

يقيمون إلاّ ثلاثاً ولا يدخلون إلاّ جلب السلاح السيف والقوس ونحوه.

في خيبر :

في شهر جمادى الأولى من السنة السابعة للهجرة، وبعد أن نكت اليهود العهد مع رسول الله ﷺ فغزاهم وهم في خيبر يلوذون بمحصونهم التي تُعدُّ أقوى حصون لهم، وبعد حصار فتحت، ولم أجد للبراء شيئاً، إلاّ ما يدل على حضوره فيها وهو قوله وبألفاظ متعددة، كان منها:

«أصاب الناس يوم خيبر جوع شديد، فأصابوا حمراً أهلية فطبخوا منها، فأمر

رسول الله ﷺ بالقُدُور فأكفئت».

«أَصَبْنَا يَوْمَ خَيْبَرَ حُمْرًا ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَكْفُوا الْقُدُورَ».^٢

١. أي القراب وما فيه، غمد السيف .

٢. كتاب المصنف؛ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ٥ كتاب الأَطعمة، في الحمر الأهلية ؛ صحيح مسلم،

كتاب الصيد والذبائح رقم : ٣٥٩٥ .

عمرة القضاء :

أدى رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين هذه العمرة في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة النبوية، فعن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نقر بها، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد الله، ثم قال لعليؑ: امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياًؑ فقالوا: قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ. وزاد براء: وقال عليؑ: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة. وكان جعفر بن أبي طالب، متزوجاً من أسماء بنت عميس الخثعمية، وأختها سلمى بنت عميس الخثعمية عند سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب. وكان اسم بنت حمزة عمارة أو أمامة، وقد تركها وأمها في مكة حين هاجر إلى المدينة، كما فعل غيره ممن هاجر مع أزواجهم وأولادهم، خلفوهم في مكة في دورهم وأموالهم...^١

فتح مكة :

فيما تيسر لي؛ لم أجد للبراء في فتح مكة، إلا هذه الرواية التي ذكرتها أعلاه وهي:

١. السيرة، لابن كثير ٣: ٣١٤-٣١٥؛ والسيرة، لابن هشام ٣: ٣٢٤؛ أسد الغابة/٣٨٩؛ البخاري، المغازي؛ والشرح الجامع الصحيح، كتاب المغازي؛ مسلم ١٧٨٣؛ مسند أحمد بن حنبل ٤: حديث البراء بن عازب؛ وصحيح البخاري ٣: كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح: ١٥٤؛ وانظر في هذه المجلة (جعفر الطيّار: العدد ٨؛ أسماء بنت عميس: العدد ٢٥).

تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية...».

وصارت هذه الرواية مع رواية أخرى عن جابر بن عبد الله: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية، من الأدلة على أن المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحاً بغير قتال...
وفي حنين :

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

في بداية وقعة أحد، سجل المسلمون انتصاراً كبيراً، لكنه نصر لم يدم، فما أسرع ما حلّت بهم الهزيمة بسبب مخالفة خطة رسول الله ﷺ ورغبتهم في الغنائم وتنافسهم للحصول على المزيد منها قبل غيرهم، ففرّ كثير منهم من ساحة القتال حتى سولت نفوس بعضهم الإلتحاق بقريش وطلب الأمان من أبي سفيان..

وفي وقعة حنين، حلّت بالمسلمين الهزيمة أولاً بسبب الإعجاب بقوتهم وكثرتهم، وفرّ الكثير منهم، ثم من الله عليهم بالنصر الكبير...

يقول ابن عاشور: ... و «حنين»، اسم واد بين مكة والطائف قرب ذي المجاز، كانت فيه وقعة عظيمة عقب فتح مكة بين المسلمين مع النبي ﷺ وكانوا اثني عشر ألفاً، وبين هوازن وثقيف، فهما إذ نهضوا لقتال النبي ﷺ حمية وغضباً لهزيمة قريش وفتح مكة، وكان على هوازن مالك بن عوف، أخو بني نصر، وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفى، وكانوا في عدد كثير وساروا إلى مكة فخرج إليهم النبي ﷺ حتى اجتمعوا بحنين فقال المسلمون:

١. سورة التوبة : ٢٥ - ٢٦ .

لن تغلب اليوم من قلة، ووثقوا بالنصر لقوتهم، فحصلت لهم هزيمة عند أول اللقاء كانت عتاباً إلهياً على نسيانهم التوكّل على الله في النصر، واعتمادهم على كثرتهم، ولذلك روي أنّ رسول الله ﷺ لما سمع قول بعض المسلمين «لن تغلب من قلة» ساءه ذلك، فإنّهم لما هبطوا وادي حنين كان الأعداء قد كمنوا لهم في شعابه وأحناؤه، فما راع المسلمين وهم منحدرين في الوادي إلاّ كتائبُ العدوّ وقد شدّت عليهم، وقيل: إنّ المسلمين حملوا على العدوّ فانهزم العدوّ فلحقوهم يغنمون منهم، وكانت هوازن قوماً رُمّةً فاكتبوا المسلمين بالسهم فأدبر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، وتفرّقوا في الوادي، وتناول عليهم المشركون ورسول الله ﷺ ثابت في الجهة اليمنى من الوادي ومعه عشرة من المهاجرين والأنصار، فأمر رسول الله ﷺ العباس عمّه أن يصرخ في الناس:

يا أصحاب الشجرة - أو السمرة - يعني أهل بيعة الرضوان - يا معشر المهاجرين -
يا أصحاب سورة البقرة - يعني الأنصار - هلموا إليّ.

فاجتمع إليه مائة، وقاتلوا هوازن مع من بقي مع النبي ﷺ واجتلد الناس، وتراجع بقية المنهزمين واشتدّ القتال، وقال رسول الله ﷺ «الآن حمي الوطيس»، فكانت الدائرة على المشركين وهزموا شرّ هزيمة وغنمت أموالهم وسببت نساؤهم...

وكان البراء بن عازب حاضراً، ولما قال له رجل: يا أبا عمارة، أفررتم يوم حنين؟ قال: لا؛ والله ما ولي رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفأوهم حسراً ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر، وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم وصفهم وعن قوله: لا؛ والله ما ولي رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه، وأخفأوهم حسراً؛ ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح.. وله جواب آخر: لا؛ والله ما فرّ رسول الله ﷺ، ولكن جماعة من الصحابة جرى لهم كذا وكذا.

فإنه يُعدُّ من بديع الأدب؛ لأنَّ تقدير الكلام فررتم كلکم، فيقتضي أنَّ النبي ﷺ وافقهم في ذلك.

وأما قوله: (شبان أصحابه) فهو بالشين وآخره نون جمع شاب، وقوله: (أخفاؤهم) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون..

ووقع هذا الحرف في رواية إبراهيم الحربي والهروي وغيرهم (جفاء) بجيم مضمومة وبالمد وفسره بسرعاتهم، قالوا: تشبيهاً بجفاء السيل، وهو غثاؤه، قال القاضي: إن صححت هذه الرواية فمعناها ما سبق من خروج من خرج معهم من أهل مكة ومن انضاف إليهم ممن لم يستعدوا، وإنما خرج للغنيمة من النساء والصبيان ومن في قلبه مرض فشبهه بغشاء السيل. وأما قوله: (حسراً) هو بضم الحاء وتشديد السين المفتوحة أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: (ليس عليهم سلاح)، الحاسر: من لا درع عليه.

وفي رواية أخرى:

عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء، وجاءه رجل، فقال: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين؟

فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن، وأبو سفيان بن الحرث أخذ برأس بغلته البيضاء يقول: «أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

وفي قول آخر له عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء وسأله رجل من قيس فقال: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟!

فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن ناساً رماةً، وإنما حملنا عليهم انكشفوا، فاكبنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام، ولقد رايت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحرث أخذ بلجامها وهو يقول: أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن

عبد المطلب.^١

أقول: بمعنى أن البراء كان موضع أسئلة عديدة تأتيه من هنا وهناك، وبعضها تصدر من مغرضين من أن الفرار شمل رسول الله ﷺ، لكن البراء كان ملتفياً واعيماً لما يقصده السائل، فكان رضوان الله عليه في إجاباته واضحاً يردُّ بها ما يثيره هؤلاء، وينفي الفرار عن النبي ﷺ فيما يثبتته لغيره.

إسلام قبيلة همدان :

بعد فشل السابقين ممن أرسلوا لإقناع أهل اليمن بالإسلام، وبالذات قبيلة همدان، التي كان لإسلامها دور مهم في تأمين الحدود الجنوبية مع اليمن، وفي إسلام قبائل اليمن الأخرى، وفي مواقفها الجليلة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام كما يأتينا.

وجه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان...

فعن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكننت فيمن سار معه؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء.

فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمره أن يقفل خالدًا ومن معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه.

قال البراء: فكننت فيمن عقب معه؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن، بلغ القوم الخبر، فجمعوا له، فصلّى بنا على الفجر، فلما فرغ صفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب

١. انظر تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور؛ سورة التوبة ٢٥ — ٢٦؛ صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، المسألة: ١٦٧٦؛ وانظر الحاشية رقم: ١؛ وصحيح البخاري: كتاب المغازي، المسألة ٤٠٦١ والحاشية؛ ومسند الإمام أحمد ١٧٩٩٧.

بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خراً ساجداً، ثم جلس، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام...
وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: نعم الحمي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الإسلام.^١
وقد سجلت هذه القبيلة مواقف كبيرة في معركة صفين إلى جانب الإمام عليٍّ عليه السلام، وقد ذكرت قصيدة مدح نُسبت للإمام عليٍّ عليه السلام بحق همدان بعد أن أسلموا على يديه المباركتين، أو في وقعة صفين، والثاني أرجح، وما زال اليمنيون يتغنّون بها، وقد ذكرت بصيغ متعددة، منها البيت المشهور:

ولو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام

وأكتفي بما قاله علامة بغداد الألووسي في تفسيره:... ومن شعر عليٍّ عليه السلام، وكان مجوداً حتى قيل: إنه أشعر الخلفاء يذكر همدان ونصرهم إياه في صفين:

ولما رأيت الخيل تزحم بالقنا

نواصيها حمر النحور دوامي

وأعرض نقع في السماء كأنه

عجاجة دجن ملبس بقتام

ونادى ابن هند في الكلاع وحمير

وكندة في لحم وحي جذام

تيممت همدان الذين همُّهم

إذا ناب دهر جنتي وسهامي

١. تاريخ الطبري ٢: ١٩٧، سنة ١٠؛ مختصر تاريخ دمشق ٢: ٤٨٢ ترجمة حمزة بن مالك بن سعد الهمداني .

فجاوبني من خيل همدان عصبه
فوارس من همدان غير لثام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها
وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بواباً على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام.^١

كان البراء عالماً محدثاً :

من ضمن ما عرف به هذا الصحابي في سيرته شاباً وكهلاً أنه لم يكتفِ بفروسيته وشجاعته وجراته في ميادين القتال، بل كان عالماً محدثاً يشهد له الجميع بالدقة والوثاقة والحرص، بفضل متابعتة الأولى وملازمته لمنابع المعرفة المتمثلة برسول الله ﷺ فقد كان ملازماً لرسول الله ﷺ ومتابعاً لسيرته وسنته قولاً وفعلاً وتقريباً، ويبدو أنه كان يتألم إذا ما حيلت بينه وبين الرسول ﷺ مشاغل الحياة أو وجود آخرين يكتظون في مجلس رسول الله ﷺ، فيسعى ليأخذ ما فاتته من علم ورواية ممن سمع ذلك من الرسول ﷺ وبالتالي فهو يبذل جهده أن لا يفوته شيء من معرفة؛ فعن ابن إسحاق عن البراء أنه قال: ما كلُّ ما نحدثكموه سمعناه من رسول الله ﷺ ولكن حدثنا أصحابنا، وكانت تشغلنا راعية الإبل.^٢

حتى وصف بأنه أكثر من أحاديث رسول الله ﷺ ولعلَّ عددها قارب الثلاثمائة أو يزيد، منها (٢٤٠) فقط في مسند الإمام أحمد، فكانت ثروة معرفية في التفسير وأسباب

١. انظر تفسير روح المعاني، سورة الشعراء، الآية : ٢٢٧ ؛ وقعة صفين لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هجرية)؛ وتاريخ دمشق، لابن عساكر ٤٥ : ٤٨٦ .
٢. مسند أحمد ١٨٠١٨ .

الزول وفي الفقه والأخلاق والمواظب والمناقب والغزوات وحتى في صفات رسول الله ﷺ الخلقية والخلقية وفي سيرته المباركة وفي أهل بيته عليهم السلام...

وقد احتلت أسباب النزول مكانتها في روايات، ففي آيات تحويل القبلة:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^١

قال: صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقلب وجهه في السماء، وعلم الله من قلب نبيه أنه يهوى الكعبة، فصعد جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يتبعه بصره وهو يصعد بين السماء والأرض ينظر ما يأتيه به، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾ . الآية.

فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل، كيف حالنا في صلاتنا إلى بيت المقدس؟

فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٢

وعنه أيضاً أنه قال: صلى رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم وجه إلى الكعبة، وكان يجب ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾.

قال: فمرَّ رجل صلى مع النبي ﷺ العصر على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة. قال: فأنحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر.

وقال: إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة، نزل على أخواله من الأنصار، وأنه

١. سورة البقرة: ١٤٤ .

٢. سورة البقرة: ١٤٣ .

صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأن أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت، ثم أنكروا ذلك، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجالاً وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^١

وأخرج ابن إسحاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾ فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ...﴾. وقال السفهاء من الناس وهم من أهل الكتاب: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟

فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ...﴾^٢

أو: ... وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟
فأنزل الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٣
وفي نزول الآية: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ

١. سورة البقرة: ١٤٣ .

٢. سورة البقرة : ١٤٢ .

٣. سورة البقرة : ١٤٢ .

أَلْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ نَمَّ أُمَّوُاُ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...^١

عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن فلاناً الأنصاري كان صائماً، فلما حضره الإفطار أتى امرأته، فقال: هل عندك من طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق فأطلب لك، فغلبته عينه، وجاءت امرأته فلما رآته قالت: خيبة لك، فأصبح فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية...
وفي هذه الآية:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٢

ذكروا عن البراء بن عازب عدة روايات متونها واحدة تقريباً، منها أنه قال: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ قال النبي ﷺ: «ادع فلاناً، وفي لفظ: ادع زيدا، فجاء ومعه الدواة واللوح والكتف.

فقال: اكتب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله إني ضريب؟!

فنزلت مكانها: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

وفي رواية: ... فشكا إليه ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

١. سورة البقرة: ١٨٧.

٢. سورة النساء: ٩٤.

وفي أخرى: وعمرو بن أم مكتوم خلف ظهره، فقال: هل لي من رخصة يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿... غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ...﴾.

وفي الآية :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين أهو ممن القى بيده إلى التهلكة؟! قال: لا؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث رسول الله ﷺ، فقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ...﴾^٢ إنما ذاك في النفقة.

وأخرج ابن جرير عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مؤمنوا أمتي شهداء، ثم تلا النبي ﷺ:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^٣.

في وصف الرسول ﷺ :

عن أبي إسحاق قال: قيل للبراء أكان وجه رسول الله ﷺ حديداً هكذا مثل السيف؟! قال: لا؛ بل كان مثل القمر!

وعنه أيضاً قال: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ، له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير!

وعنه أنه قال: إنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، وضع يده اليمنى تحت خده،

١. سورة البقرة : ١٩٥ .

٢. سورة النساء : ٨٤ .

٣. سورة الحديد : ١٩ ؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم ١٨٠٠٦ ، ١٨٠٢٧ ، ١٧٩٩٩ ، ١٨٠٧٤ ، ١٨٠٤٤ ، ١٨١٢٨ ؛ تفسير الطبري: الآية ؛ أسباب النزول، للواحدي: الآية ؛ وتفسير الدر المنثور، للسيوطي ؛ وغيرها .

وقال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك أو تجمع عبادك!»
وعنه: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى تكون إبهاماه حذاء أذنيه!
ومن وصاياه ﷺ:

عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجأ إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك؛ مت وأنت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً!»
من رواياته في مناقب أهل البيت عليهم السلام:

ذكرت مصادر الحديث للفريقين روايات كثيرة للبراء بن عازب في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم يرويها عن رسول الله ﷺ كان منها:
جاء عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى باب النبي ﷺ، فقام بردائه وطرحه عليهم، ثم قال: «اللهم هؤلاء عترتي».
قال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «أنت مّتي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي».

وعنه أنه قال: «كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد، وإن رسول الله ﷺ قال: سدّوا هذه الأبواب غير باب عليٍّ عليه السلام».
قال: فتكلّم في ذلك أناس.

قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أمرتُ بسدّ هذه الأبواب غير باب عليٍّ عليه السلام، فقال فيه قائلكم، وإني والله ما سدّدت شيئاً ولا فتحته، ولكّني أمرتُ بشيء فاتبعته!»

وعنه: أن النبي ﷺ أبصر حسناً وحسيناً، فقال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما».
وعنه أنه ﷺ قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة!»

كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين عليهما أو أحدهما فركب علي ظهره، فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه، أو أمسكهما، قال: «نعم المطية مطيتكما»!
قال رسول الله ﷺ للحسن أو الحسين عليهما: «هذا مني وأنا منه، وهو يحرم عليه ما حرم علي، من أحبني فليحب هذا يعني الحسن».

في ولائه للعترة الطاهرة :

عرف الكثير من الأنصار بولائهم لأهل بيت النبي ﷺ وكان هذا الصحابي واحداً منهم، من تلك الطليعة الرائدة، التي بادرت لبيعة الإمام علي عليه السلام بالخلافة سنة ٣٥ هـ، وقد ذكره الشيخ المفيد في كتابه الجمل رقم ١٠ في بيعة المهاجرين، وهو ليس منهم بل من الأنصار. وقد وصف الشيخ المفيد هؤلاء المبايعين مهاجرين كانوا أم أنصاراً بأنهم كانوا (الراضين بإمامته الباذلين لأنفسهم في طاعته...)، ثم يقول:

(... ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارتياب ودان بإمامته على الإجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحریم لخلافه ومعصيته، والمحاضرون معه في حرب البصرة ألف وخمسمائة رجل من وجوه المهاجرين الأولين والسابقين إلى الإسلام والأنصار، البدرين العقبين وأهل بيعة الرضوان؛ من جملتهم سبعمائة من المهاجرين وثمانمائة من الأنصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين بإحسان على ما جاء به الثبت من الأخبار)، ثم راح يذكر بيعة المهاجرين فبيعة الأنصار وبيعة بني هاشم وبيعة سائر الشيعة.^١ والتي لم تخلو منهم ميادين القتال التي فرضت على الإمام علي عليه السلام من قبل طوائف ثلاث عرفت بالناكثين والقاسطين والمارقين؛ فراح سلام الله عليه يتحمل مسؤولية قتالهم على التأويل؛ تأويل المبطلين وتحريف الجاهلين، حين ظهر من يتأول القرآن الكريم على غير تأويله؛ وقد تحمل رسول الله ﷺ من قبل مسؤولية القتال على التنزيل، فعن

١. انظر كتاب الجمل : ١٠١ - ١١٠ .

البراء: «يا عليُّ تقاتلهم على التأويل كما قاتلتهم على التنزيل». «إنَّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرفنا وفينا أبوبكر و عمر، فقال: لا، ولكنه خاصف النعل. يعني علياً عليه السلام.
عن ربعي بن خراش قال: سمعت علياً عليه السلام يقول وهو بالمدائن: «جاء سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنه قد خرج إليك ناس من أرقائنا ليس بهم الدين تعبداً، فارددهم علينا. فقال له: أبوبكر و عمر: صدق يا رسول الله!
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لن تنتهوا يا معشر قريش! حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب أعناقكم، و أنتم محفلون عنه إجمال النعم.
فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا.
قال له عمر: أنا هو يا رسول الله؟
قال: لا، ولكنه خاصف النعل. قال: و في كف عليٍّ عليه السلام نعل يخصفها
لرسول الله صلى الله عليه وآله.
وفعلاً كان البراء وابنه وأخوه عبيد بن عازب ممن شهدوا الجمل و صفين والنهروان
كما يأتينا. ١

البراء و خبر السقيفة :

لقد كان هذا الصحابي صريحاً بإعلان حبه لبني هاشم، فعن أبي سعيد الخدري قال:
سمعت البراء بن عازب يقول:
لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسولُ الله صلى الله عليه وآله تخوّفتُ أن تتمالأ قريش على

١. تاريخ بغداد للخطيب ١ : ١٣٣ - ١٣٤، و ٨ : ٤٣٣ ؛ المستدرک، للحاكم ٢ : ١٣٨ ؛ السنن الكبرى، للنسائي ٥ ؛ كنز العمال ٦ : ١٥٥ ؛ تاريخ دمشق، لابن عساکر ١٢ : ١٤٩ .

إخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذي ما يأخذ الواله العجول!^١
أقول: يبدو من هذا المتن أن هناك في ذهن هذا الصحابي ولعله في ذهن غيره ارتكازاً أن الأمر أي خلافة رسول الله ﷺ هي في بني هاشم، لولا اجتماع قريش على صرفها عنهم، وإلا لماذا (فأخذي ما يأخذ الواله العجول!) يصف نفسه بأنه الذاهب عقله، وبالتالي تفقد ولدها!
وفعلاً ما إن أعلنت بيعة أبي بكر في السقيفة، وعلم بها البراء بن عازب حتى بادر مسرعاً إلى حيث بيت الإمام علي عليه السلام، وكان فيه العباس بن عبد المطلب وجمع من بني هاشم والصحابة، فضرب الباب على بني هاشم، وقال: يا معشر بني هاشم، بويح أبوبكر! فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بحمدا!
فقال العباس: فعلوها، ورب الكعبة...

ونترك للبراء يحدثنا فهو ممن قص أحداث السقيفة، التي وقعت ورسول الله ﷺ بعد لم يُدفن، وليس هذا فقط بل تُظهر عدم رضاه بما حصل، وقد ذكرت روايته وتعدُّ الأقدم في كتاب سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦ هجرية) على ما في هذا الكتاب من كلام بين علماء الإمامية ومحققهم، فهو كتاب مثير للجدل بينهم سنداً ومنتناً وحجّةً، وبعيداً عما بينهم، فإن من الغرابة بدرجة أن سليم بن قيس؛ وبين قوسين (لم يُذكر في كتاب الجمل للشيخ المفيد لا في قائمة المبايعين لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا مع المشاركين في قتال الناكثين، ولم يذكره نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هجرية) في كتابه وقعة صفين)، والأكثر غرابة أنه لم يُذكر له أي دور في أحداث كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١ هجرية؛ لا مشاركاً ولا محدثاً ولا كاتباً ولا ذاكراً شيئاً عن أخبارها، ولا متابِعاً لحركة الإمام ومسيرته من المدينة إلى مكة فكربلاء، ولو عن بُعدٍ، مع أنه لا فقط من أصحاب الإمام أمير المؤمنين

١. كتاب شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢ : ٥١ ، نقله عن أبي بكر الجوهري (ت ٣٢٣ هجرية) .

والأئمة الحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر عليهم السلام، بل يوصف بأنه من الأولياء الخالص لهم كما يُذكر في ترجمته!

لا أدري أين هو من كربلاء الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره؛ مع أنه عاش بعدها أكثر من خمس عشرة سنة، أي إلى سنة ٧٦ هجرية، وهو ينتقل بين نجد والمدينة ومكة والكوفة والبصرة حتى عيّن عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٣ هجرية، وبعد أن فرغ من قتال عبدالله بن الزبير، وأعاد الحجاز إلى خلافة ابن مروان، راح سنة ٧٥ هجرية يطارد أتباع الإمام علي عليه السلام ومنهم سليم بن قيس؟! فإن كان له عذر في عدم القتال وفي نصرته سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فلا أجد له ذلك في ملاحقة أخبار ما قبل كربلاء، وما جرى فيها، وما بعدها من حركات وثورات كثورة التوابين وثورة المختار وغيرهما، وقد وصف بقدرته على نقل الأخبار وتدوينها، وأنه رجل السيف والقلم، حتى دون ما سكت عنه غيره كما يذكر ذلك بعض من ترجم له أو حقق كتابه..

وكم كنت وما زلت أتمنى لو أن كتابه الموصوف بأنه الأقدم قد تضمن ما أوقعه الطغاة والظالمون على أهل بيت العصمة والطهارة وأنصارهم من مذمجة أقل ما توصف أنّها مأساة مروعة، وتعدُّ الأكثر دمويةً وبشاعةً وانتهاكاً لحرمته رسول الله ﷺ وبيته الطاهر، اهتزت لها الضمائر، وانبرت لها العقول والأفهام قراءةً لمقدماتها، واستنطاقاً لمجرياتها، ولمعرفة ما جرى، ولما تركته من آثار وحركات انبثقت بسببها... حتى كتب عنها الآخرون ممن ليس لهم ولاء لأهل البيت كولاء سليم! خاصة وقد عرف الرجل بأنه من أولياء الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام، وكان يلتقي بهما، وهما ممن حضر واقعة الطف وشهد فصولها ومأساتها، ألم يسمع منهما، ولا من أحدهما ولا من غيرهما شيئاً؟! ألم يبادر هو بسؤال عما وقع؟! وقد عرف بأنه متابع للأخبار، حريص على تدوينها، سامع لها؛ فالسمع المباشر حرفته، ويعدُّ أعلى مراتب تحمل الحديث؟!!

وهل هناك أعظم من يوم الحسين وأهله وأنصاره؟! وهل هناك حدث أجمل،

وخبر أهم من وقعة الطف خاصة لمن يملك هذا الولاء والقدرة والحرص والدقة في ملاحقة الأحداث والأخبار؟! إنّه لأمر عجيب أن يخلو كتابه ، الذي يعدُّ أقدم وثيقة لتلك الفترة، ممّا وقع في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هجرية ..!

لا أدري ؛ وإن هي إلا أمنية لا تخلو من ألم وحسرةٍ ، لا أظنّ أنّي سبقتُ غيري إليها، فلعلّها أمنية آخريين!

ورحم الله المتنبّي حين قال:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفِينُ!

فمن سلّم، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: كنت أحبُّ بني هاشم حبًّا شديدًا في

حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته...!

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى عليًّا عليه السلام أن لا يلي غسله غيره، وأنه لا ينبغي لأحد أن يرى عورته غيره، وأنه ليس أحد يرى عورة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ذهب بصره. فقال عليُّ عليه السلام: يا رسول الله! فمن يعينني على غسلك؟ قال: جبرائيل في جنود من الملائكة. فكان عليُّ عليه السلام يغسله، والفضل بن العباس مربوط العينين يصب الماء، والملائكة يقبلونه له كيف شاء. ولقد أراد عليُّ عليه السلام أن ينزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، فصاح به صائح: (لا تنزع قميص نبيِّك، يا عليُّ!).

فأدخل يده تحت القميص فغسله ثم حنطه وكفنه، ثم نزع القميص عند تكفينه وتحنيطه... إلى آخر الرواية، التي نكتفي بذكرها عن أبي سعيد الخدري.. مع الاختلاف البسيط في متنها، من كتاب السقيفة وفدك للجوهري (ت ٣٢٣ هجرية).

ففي كتاب السقيفة وفدك: وحدثني المغيرة بن محمد المهلب من حفظه، وعمر بن شبة من كتابه بإسناد رفعه إلى أبي سعيد الخدري، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محبًّا، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة

رسول الله ﷺ، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وآله في الحجر، وأتفقد وجوه قريش، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويح أبا بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل معه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يرون بأحد إلاّ خطوه، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر بياضه، شاء ذلك أو أبي، فأنكرت عقلي وخرجت اشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما أي قد أمرتكم فعصيتموني. فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد، وسلمان وأبذر وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين.

فلما كان بليل خرجت إلى المسجد (وفي قول له: لما قبض رسول الله ﷺ تخوفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر من بني هاشم... فمكثت أكابد ما في نفسي فلما كان بليل...) فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع هممة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء، فضاء بني قضاة أو بياضة، وأجد نفرًا يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم، فعرفوني وما أعرفهم فدعوني إليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كذبت ولا كذبت، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين.

ثم قال: اتوا أبي بن كعب، فقد علم كما علمت، قال: فانطلقنا إلى أبي، فضرنا عليه بابه حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر في هذا العقد، فقلنا: نعم، فقال: أفياكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالتقول ما قال: وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية، ولما يكون بعدها شرٌّ منها وإلى الله المشتكى.

وبلغ الخبر أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة، فسألاههما عن الرأي، فقال المغيرة: إن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه، فتقطعوا به من ناحية عليّ، ويكون لكم حجة عند الناس على عليّ، إذا مال معكم العباس.

فانطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً صلى الله عليه وآله نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم، متفقين غير مختلفين فاختاروني عليهم والياً، ولأموهم راعياً، فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا ولا حيرة ولا جنناً، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذ لكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، ولن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال: اي والله، وأخرى إنا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفام الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم وعامتهم، ثم سكت.

فتكلم العباس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله ابتعث محمداً نبياً، كما وصفت، وولياً للمؤمنين، فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده، فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، وما تقدمنا في أمركم فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا

نزحنا شحطاً، فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين وما أبعد قولك أنهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك، وما ما بذلت لنا فإن يكن حَقُّكَ اعطيتناه فامسكه عليك، وإن يكن حقّ المؤمنين فليس لك أن تحكّم فيه، وإن يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض، وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان، وأما قولك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم، فإن رسول الله ﷺ، ومن شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. وأما قولك يا عمر، أنك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان^١.

ونعود إلى كتاب سليم؛ عن البراء بن عازب كانت خاتمة اللقاء قول العباس: وأما قولك يا عمر: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله منا ومنكم)، فإن رسول الله شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، فنحن أولى به منكم. وأما قولك: (إننا نخاف تفاقم الخطب بكم وبننا)، فهذا الذي فعلتموه أوائل ذلك، والله المستعان! فخرجوا من عنده، وأنشأ العباس يقول:

ما كنت أحسب هذا الأمر منحرفاً	عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلكم	وأعلم الناس بالآثار والسنن
وأقرب الناس عهداً بالنبى ومن	جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما في جميع الناس كلهم	وليس في الناس ما فيه من الحسن

١. كتاب السقيفة وفدك للجوهري (ت ٣٢٣ هجرية): ٤٦ - ٤٨ وفي الهامش ابن أبي الحديد ٢ : ٥١ ؛ تاريخ الطبري ٣ : عن ابن حميد عن سلمة قال: حدثنا محمد بن اسحاق ؛ الكامل ٢ : ٣٢١ ؛ سيرة ابن هشام ٤ : ٣٣٢ ؛ ابن أبي الحديد ١ : ٢١٩ ؛ الإمامة والسياسة ١ : ١٥ ؛ تاريخ يعقوبي ٢ : ١٠٣ ؛ الغدير ٧ : ٩٣ ؛ سيرة ابن هشام ٤ : ٣٤٠ ؛ ونثر الدرّ ٢ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ وكذا كتاب سليم بن قيس .

من ذا الذي ردكم عنه فنعرفه ها إن بيعتكم من أول الفتن.

ويظهر مما رواه البراء عن السقيفة أنه وعدد من الصحابة، أقل ما يوصف موقفهم بعدم الرضا مما وقع في سقيفة بني ساعدة، ومما انبثق عنها من بيعة أبي بكر خليفة لرسول الله ﷺ حتى ورد أنه كان واحداً من هؤلاء الصحابة (سلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وأبوالهيثم بن التيهان وغيرهم...) كلهم أو بعضهم، قد اجتمعوا مع طائفة من بني هاشم في بيت الزهراء عليها السلام للنظر فيما آلت إليه أمور الخلافة بعد رحلة رسول الله ﷺ إلى ربّه تعالى.

قال اليعقوبي: وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي ابن كعب.

وقد نسب إلى البراء أنه قال لأبي العلاء بن المسيب حين لقيه وقال له: طوبى لك؛

صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة!

فكان جوابه: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده؟!!

ويبدو أنه يشير في جوابه إلى ما حدث بعد وفاة رسول الله ﷺ من أحداث وأمور وفتن، وقد يكون ما حدث في السقيفة يعدُّ أول فتنة حصلت حول الإمامة، وسرت في الأمة عبر القرون، وجرّت عليها الويلات.. ولنعم ما شخصه الشهرستاني حين يقول:

وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سلَّ سيف في الإسلام على قاعدة

١. كتاب سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦ هجرية) ٤٦ - ٤٨ .

دينية مثل ما سُئلَ على الإمامة في كلِّ زمان...^١

وفي رواية لم أجد مصدراً لها غير الدرجات الرفيعة عن سليمان بن مهران الأعمش
قال: شهد عندي عشرة نفر من خيار التابعين أن البراء بن عازب قال:

إني لأتبرأ ممن تقدّم على علي بن أبي طالب، وأنا بريء منهم في الدنيا والآخرة!
وسليمان بن مهران الأعمش: ذكره ابن قتيبة في المعارف ثلاث مرّات، فذكره مرّة في
أصحاب القراءات، ومرّة في أصحاب الحديث (وقال: إن الحديث كان أغلب عليه من
القراءة) ومرّة في الشيعة، كما أشار إلى تشييعه الشهرستاني في الملل والنحل..

السيد الخوئي... ولا إشكال في أن تشييع الأعمش من المتسالم عليه عند الفريقين..^٢
وكيف لا يكون موقفه هكذا وهو واحد ممن شهد ووعى وروى حديث الغدير،
فعن... عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كنا مع
رسول الله ﷺ، فنزلنا بغدير خمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت
شجرتين فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من
أنفسهم؟! قالوا: بلى!

قال: أستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟!

قالوا: بلى!

قال: فأخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه،
وعاد من عاداه! قال: فلقبه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت
وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة!

١. فتح الباري، شرح صحيح البخاري: مسألة ٣٦٣٧؛ تاريخ يعقوبي ٢: ١٢٤؛ الملل والنحل
للشهرستاني ١: ٢٢ المقدمة، الخلاف الخامس.

٢. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، للسيد علي خان المدني (ت ١١٢٠ هجرية): ٤٥٤؛ المعارف:
١٣٩؛ الملل والنحل ١: ١٧٢؛ معجم رجال الحديث ٨: رقم ٥٥١٨.

قال أبو عبد الرحمن: حدثنا هذبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ نحوه.^١ ولم يكن ممن اكتفى برواية حديث الغدير بل من الذين شهدوا به. وقعت شهادته هذه، حين ناشدهم الإمام علي عليه السلام قائلاً:

أنشد الله من حفظ ذلك من رسول الله ﷺ لما قام فأخبر به!

فقام زيد ابن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبوذر، والمقداد، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول:

أيها الناس إن الله أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرنه بطاعته وطاعتي، فأمركم بولايتي وولايته، فإني راجعت ربي عز وجل خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني ربي لأبلغنها أو ليعذبني!^٢

وكان مع الإمام في مشاهدته الثلاثة:

فما اتفق عليه المؤرخون أن البراء بن عازب كان ممن تولى الإمام علياً عليه السلام، وشهد معه معركة الجمل ثم صفين، فالنهران، كما شهد معه ابنه وأخوه عبيد بن عازب هذه المشاهد الثلاثة.

ففي صفين وهو يقاتل، وكان ابنه إلى جانبه هو الآخر يقاتل معاوية وجنده، لم يترك البراء روايته، فعن نصر، عن عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال:

أقبل أبو سفيان ومعه معاوية؟

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم ١٨٠٠١؛ الدرجات الرفيعة: ٤٥٤.

٢. كتاب سليم بن قيس: ١٩٩.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس». فقال ابن البراء لأبيه: من الأقيعس؟ قال: معاوية.

وكان البراء بن عازب واحداً من الأنصار الذين عاتبهم وهم في ميدان القتال حين سمع الصحابي قيس بن سعد يقول قصيدته التي مطلعها:

يا ابن هند دع التوثب في الحرّ * ب إذا نحن في البلاد نأينا

يقول نصر بن مزاحم: فلما بلغ شعره معاوية دعا عمرو بن العاص، فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟

قال: أرى أن تواعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تذم أحسابهم.

قال معاوية: إن خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسنا عنا حابس الفيل، فما الرأي؟ قال: الرأي التوكل والصبر.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعاتبهم، منهم عقبة بن عمرو، وأبو مسعود، والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمرو بن عمير والحجاج بن غزية، وكان هؤلاء يُلقون في تلك الحرب.

فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد. فمشوا بأجمعهم إلى قيس، فقالوا: إن معاوية لا يريد شتماً فكفّ عن شتمه. فقال: إن مثلي لا يشتم، ولكني لا أكف عن حربته حتى ألقى الله...

وفي النهروان في التاسع من شهر صفر سنة ثمان وثلاثين هجرية وقعت معركة النهروان بين الإمام عليّ عليه السلام وفرقة المارقين وهم الخوارج...

ويبدو أن البراء بن عازب كان آخر مبعوث من قبل الإمام عليّ عليه السلام إلى

الخوارج، وما إن وصل إليهم حتى راح يدعوهم ثلاثة أيام إلى طاعة الإمام وترك المشاقة، ولم يجد منهم إلا العناد، يقول الخطيب البغدادي عن البراء: وكان رسول علي بن أبي طالب إلى الخوارج بالنهروان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة، ثم روى بسنده عن أبي الجهم، قال: بعث علي بن أبي طالب البراء بن عازب إلى أهل النهروان يدعوهم ثلاثة أيام فلما أبوا سار إليهم.

قالوا عنه :

لقد كان البراء من أجلاء الصحابة وفضلائهم جهاداً وعلماً وروايةً، وهو الذي اختاره النبي ﷺ من بينهم ليلبسه خاتماً زاد من غنيمته بعد تقسيمها: فعن البراء أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وبين يديه غنيمته... فقسمها حتى بقي هذا الخاتم، فرفع طرفه فنظر إلى أصحابه ثم خفض ثم رفع طرفه فنظر إليهم، ثم قال: أي براء! فجننته حتى قعدت بين يديه، فأخذ الخاتم فقبض على كرسوعي، ثم قال: خذ البس ما كساك الله ورسوله، قال: فكان البراء يقول: فكيف (تأمروني) أن أضع ما قال رسول الله ﷺ: «البس ما كساك الله ورسوله».

جاء كلامه هذا حين اعترض عليه بعضهم: لم تحتّم بالذهب وقد نهى عنه النبي ﷺ؟ وإن ما يشهد على جلالته هذا الصحابي وعلو مكانته ورفيع منزلته هو أنه - وكما صرح علماء الرجال، وهم المعروفون بعدم تساهلهم في مسألة المرح والتعديل للرواة - قد حظي بمنزلة طيبة في تقييمهم له:

١. انظر وقعة صفين، لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هجرية) ٤ : ٢١٨ - ٢١٧، ٧ : ٢٤٧ - ٤٨؛ الجمل، للشيخ المفيد: ٤٥٧؛ تاريخ بغداد، للخطيب ١ : ١٧٧؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: باب البراء؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: البراء بن عازب وأخوه عبيد بن عازب؛ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٦١٨.

أولاً: كلٌّ من ترجم له من العامة، أثنى عليه في سيرته وصحته لرسول الله ﷺ وروايته الكثيرة عنه، منها: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ومشاركته في مشاهدته بعد أن أذن له رسول الله ﷺ. وأكد بعض من ترجم له منهم أنه كان من أتباع الإمام عليّ عليه السلام، وأنه لم يتخلف عنه في الجمل وصفين والنهروان... وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: إنه شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام: الجمل، وصفين، والنهروان. وترجم له الجزري في أسد الغابة: شهد البراء مع علي بن أبي طالب: الجمل وصفين والنهروان؛ هو وأخوه عبيد بن عازب، ونزل الكوفة.. فيما عدّه ابن أبي الحديد من رؤساء الأنصار الذين كانوا تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الثلاثة. قال الذهبي عنه في السير: البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني. مُسنّده ثلاث مائة وخمسة أحاديث، له في الصحيحين اثنان وعشرون حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر حديثاً، ومسلم بستة.. وهكذا المزي: البراء بن عازب بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري، الحارثي، الأوسي، أبو عمارة، ويُقال: أبو عمرو، ويقال: أبو الطفيل المدني، صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه... روى عن النبي ﷺ. وروى... روى عنه... ثانياً: وفي كتب الرجال عند الإمامية: عدّه كلٌّ من البرقي والعلامة من أصفياء أمير المؤمنين عليه السلام.

١. انظر مسند أحمد ٤ : ٢٩٤ ؛ الطبقات، لابن سعد ؛ وأسد الغابة ؛ والإصابة رقم ٦١٨ ؛ والاستيعاب ؛ السير، للذهبي ٣ : ١٩٤ - ١٩٦ تهذيب الكمال، للمزي (المتوفى ٧٤٢هـ) رقم، ٦٥٠ وغيرها .

تصريحه لأmir المؤمنين عليه السلام بأنه هو وأصحابه كانوا قبل اتّباعهم له بمنزلة اليهود تخف عليهم العبادة، وإنّ بعد اتّباعهم له وقع حقائق الإيمان في قلوبهم. مناداته بمحدث الغدير، وشهادته عند استشهاده عليه السلام منه ومن آخرين بمحدث الغدير، إعلانه الولاء لأmir المؤمنين عليه السلام، وإرسال أمير المؤمنين عليه السلام له إلى أهل النهروان، وموقفه يوم السقيفة.. إلى غير ذلك ممّا يشهد على جلالته ووثاقته... روى الشيخ الكشي رحمته الله في رجاله عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام «أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للبراء بن عازب: كيف وجدت هذا الدين؟

قال: كنّا بمنزلة اليهود قبل أن نتبعك، تخفّ علينا العبادة، فلمّا اتّبعناك ووقع حقائق الإيمان في قلوبنا وجدنا العبادة قد تناقلت في أجسادنا. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فمن ثمّ يحشر الناس يوم القيامة في صور الحمير، وتُحشرون فرادى فرادى يؤخذ بكم إلى الجنة».

ويقول عنه السيد بحر العلوم: باب الباء البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، أبو عمارة، صاحب ابن صاحب. كان عمره - يوم بدر - أربع عشرة سنة، فاستصغر ذكره العلامة، وابن داود في القسم الأول من (كتايبهما).

وقد روى عنه غير واحد من التابعين: حديث (غدير خم) مفصلاً وروي عن الأعمش: قال: شهد عندي عشرة من الأخيار التابعين أنّ البراء بن عازب كان يبرأ ممن تقدم على علي عليه السلام، ويقول: إني برئ منهم في الدنيا والآخرة.

وروى الشيخ أبو عمرو الكشي: عن جماعة من أصحابنا، منهم - أبو بكر الحضرمي وأبان بن تغلب، والحسين بن أبي العلاء، وصباح المزني عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للبراء بن عازب: كيف وجدت هذا الدين؟ قال: كنا بمنزلة اليهود قبل أن نتبعك. تخفّ علينا العبادة، فلما اتّبعناك ووقع حقائق الإيمان في قلوبنا وجدنا العبادة قد تناقلت في أجسادنا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فمن ثمّ يحشر الناس يوم القيامة في صور الحمير،

وتحشرون فرادى، فرادى يؤخذ بكم إلى الجنة.

السيد الخوئي:

البراء بن عازب الانصاري الخزرجي، كنيته: أبو عامر، من أصحاب رسول الله ﷺ، رجال الشيخ، ومن أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ، وعدّه البرقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وقال الكشي: (روى جماعة من أصحابنا منهم: أبو بكر الحضرمي، وأبان بن تغلب، والحسين بن أبي العلاء، وصالح المزني عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال للبراء بن عازب: كيف وجدت هذا الدين؟ قال: كنا بمنزلة اليهود قبل أن نتبعك، تخف علينا العبادة، فلما اتبعناك ووقع حقائق الايمان في قلوبنا، وجدنا العبادة قد تناقلت في أجسادنا.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فمن ثمّ يحشر الناس يوم القيامة في صور الحمير، وتحشرون فرادى، فرادى، ويؤخذ بكم إلى الجنة»، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما بدا لكم، ما من أحد يوم القيامة إلا وهو يعوي عواء البهائم، أن اشهدوا لنا واستغفروا لنا فنعرض عنهم فما هم بعدها بمفلحين». قال أبو عمرو الكشي: هذا بعد أن أصابته دعوة أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكن بعد هذا، هل ورد قدح وذمّ فيه؟

ذكرت روايات استفيد منها تخلفه عن الشهادة للإمام علي عليه السلام بحديث الغدير، وأنه كتبه، وأنه تخلف عن نصرته الإمام الحسين عليه السلام...
الرواية الأولى:

روى عبد الله بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو مريم الأنصاري، عن المنهال بن عمرو، عن ذر بن حبيش، قال: خرج علي بن أبي طالب عليه السلام من القصر، فاستقبله ركبان متقلدون بالسيوف، عليهم العمائم، فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا مولانا، فقال علي عليه السلام: «من ههنا من أصحاب رسول الله ﷺ؟»

فقام خالد بن زيد أبو أيوب، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله ابن بديل بن ورقاء، فشهدوا جميعاً أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك، والبراء بن عازب: «ما منعكما أن تقوموا فشهدا، فقد سمعتما كما سمع القوم؟ ثم قال: اللهم إن كانا كنماها معاندة فابتلها، فعمي البراء بن عازب، وبرص قدما أنس بن مالك، فحلف أنس بن مالك: أن لا يكتم منقبة لعلي بن أبي طالب ولا فضلاً أبداً، وأمّا البراء بن عازب فكان يسأل عن منزله، فيقال: هو في موضع كذا وكذا، فيقول: كيف يرشد من أصابته الدعوة.
الرواية الثانية :

الصدوق في المجالس، المجلس ٢٦، الحديث ١، وفي الخصال، باب الأربعة، الحديث ٤٤، قال: حدثنا محمد بن موسى ابن المتوكل، قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس إن قدام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب محمد ﷺ، منهم: أنس بن مالك، والبراء بن عازب والأشعث بن قيس الكندي، وخالد بن يزيد البجلي، ثم أقبل علي أنس، فقال: يا أنس، إن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله حتى يبتليك ببرص لا تغطيه العمامة، وأمّا أنت يا أشعث، فإن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله حتى يذهب بكرميتك، وأمّا أنت يا خالد بن يزيد، فإن كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله إلا ميتة جاهلية، وأمّا أنت

يابن عازب فإن كنت سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم لم تشهد لي اليوم بالولاية، فلا أماتك الله إلا حيث هاجرت. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: والله لقد رأيت أنس بن مالك وقد ابتلي برص يغطيه بالعمامة فما تستره، ولقد رأيت الأشعث بن قيس وقد ذهب كرميتاه، وهو يقول: الحمد لله الذي جعل دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام عَلَيَّ بِالْعَمَى فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَدَعْ عَلَيَّ بِالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ فَأَعَذَّبَ، وَأَمَّا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، فَإِنَّهُ مَاتَ فَأَرَادَ أَهْلُهُ أَنْ يَدْفِنُوهُ، وَحَفَرَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ فَدَفَنَ، فَسَمِعْتُ بِذَلِكَ كِنْدَةَ، فَجَاءَتْ بِالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، فَعَقَرْتَهَا عَلَى بَابِ مَنْزِلِهِ، فَمَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً، وَأَمَّا الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، فَأَنَّه وَلَّاهُ مَعَاوِيَةَ الْيَمَنَ، فَمَاتَ بِهَا، وَمِنْهَا كَانَ هَاجِرًا.

الرواية الثالثة :

المفيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن إسماعيل بن صبيح، عن يحيى بن مساور العابدی، عن إسماعيل بن زياد. قال: إن علياً عليه السلام قال للبراء ابن عازب ذات يوم: يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حيٌّ لا تنصره. فلما قتل الحسين عليه السلام، كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام قتل الحسين عليه السلام ولم أنصره، ثم أظهر الحسرة على ذلك والندم.

ثم إنَّ السيد الخوئي بعد أن يذكر هذه الروايات يقول عن الأولى: كتمان البراء الشهادة، ودعاء علي عليه السلام عليه لم يثبت، فإنَّ ذلك مروى عن طريق العامة، ولا وثوق بصحة سنده.

وعن الثانية: سند الرواية ضعيف، بمحمد بن سنان، على أنَّها اشتملت على ما اشتهر خلافه، فإنه ذكر فيها أنَّه ولَّاه معاوية اليمن فمات بها، والمشهور أنَّه بقى إلى زمان مصعب

ومات في عصره بالكوفة. ذكر ذلك في أسد الغابة، والإصابة، والإستيعاب.
وأيضاً عن الثالثة: عما رواه المفيد في الإرشاد، وروى ابن شهر آشوب مثله:
قال عليه السلام للبراء بن عازب: يا براء يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره، فلما قتل الحسين
كان البراء يقول: صدق والله أمير المؤمنين، وجعل يتلهف.^١
يقول: فهي وإن دلت على ذم البراء لدلائنها على أن ترك نصرته للحسين عليه السلام كان
عن اختياره وتمكّنه. إلا أنها أيضاً ضعيفة بالإرسال وجهالة الرواة.
ثم ينتهي السيد الخوئي إلى أنه لامعارض لشهادة البرقي بأنه كان من أصفياء
أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا قبول ولايته على اليمن من قبل معاوية فهو أيضاً
غير ثابت، ...^٢

كما أن الكشي عنونها: فيما روي من جهة العامة...^٣

أما الشيخ المامقاني فله بحث مفصل عنه وعن هذه الروايات، يخلص منه إلى التالي:
إنّ عدّ البرقي والعلامة للمترجم من أصفياء أمير المؤمنين عليه السلام، وعدّ ابن أبي
الحديد له من رؤساء الأنصار الذين كانوا تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام، واتّفاق
الخبراء من أرباب الرجال بنضاله تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الثلاثة،
وتصريحه لأمر المؤمنين عليه السلام بأنه هو وأصحابه كانوا قبل اتّباعهم لأمر المؤمنين عليه السلام
بمنزلة اليهود تخف عليهم العبادة، وإنّ بعد اتّباعهم له عليه السلام وقع حقائق الإيمان في
قلوبهم، ومناداته بحديث الغدير، وشهادته عند استشهاد عليه السلام منه ومن آخرين
بحديث الغدير، وإعلانه الولاء لأمر المؤمنين عليه السلام وإرسال أمير المؤمنين له إلى أهل
النهران وموقفه يوم السقيفة.. إلى غير ذلك ممّا يشهد على جلالته ووثاقته، لأدلّ دليل

١. مناقب ابن شهر آشوب ٢ : ١٠٦ . ٢ : ٢٧٠ .

٢. معجم رجال الحديث، ١٦٦٠ البراء بن عازب .

٣. رجال الكشي : ١٢ - البراء بن عازب : ٤٠ - ٤١ .

على قربه منه عليه السلام ومنزلته واعتماده عليه.
ومن ملاحظة مجموع ما ذكرناه ينبغي عدّه من الثقات الأجلاء، وأنّ عدّه من الحسان
هضم لحقه، وتنقيص لرتبته، والله العالم.^١
السيد محسن الأمين:

البراء بن عازب من الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فشهد معه مشاهدته كلها
الجمل وصفين والنهروان باتفاق الرواة وأهل العلم، وذلك يدل على حسن حاله ولكنه
لم يكن خالياً من شيء بكتمانه الشهادة لعلّي عليه السلام بالولاية يوم الغدير، وأنه دعا عليه وتركه
نصرة الحسين عليه السلام.

أمّا الدعاء عليه فإن صحّ فهو بعد شهوده المشاهد إذا لا يشهدا وهو أعمى،
ولم يذكر أنه تاب، غايته أنه كان يقول كيف يرشد من أصابته الدعوة وهو لا يدل على
التوبة، لكن ما رواه الكشي عنه يدل على حسن حاله وقد فهم منه انه كان ذلك بعد أن
أصابته الدعوة وتبعه العلامة في الخلاصة، وخبر أصابته الدعوة له بالعمى معارضة برواية
الخصال والمجالس، ولم يكن معاوية ليؤليه وهو أعمى لكن خبر الخصال مناف لما ذكره
الأكثر من أن وفاته كانت بالكوفة، وأنه لم يذهب إلى معاوية ولا إلى اليمن، وأنه مدني
أوسي لا يمني، وبالجملة فأمر مشتبه وهو إلى السلامة أقرب، والله أعلم.^٢

أقول :

هذا إضافة إلى أن البراء بن عازب ممن شهد للإمام عليّ عليه السلام كما جاء في
كتاب سليم بن قيس : ١٩٩ وتحت عنوان:
يوم غدير خم على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فأنشدتكم أتعلمون ...

١. تنقيح المقال، في علم الرجال : ٦٧ رقم ٢٩٢٤ ؛ البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي .

٢. أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٣ : ٢٥١ .

فنصبي للناس بغدير خمّ، ثم خطب وقال: «أيها الناس، إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس تكذبني فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني».

ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب فقال: «أيها الناس، أتعلمون أن الله عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم»؟

قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: (قم، يا علي). فقامت، فقال: «من كنت مولاه فعلي هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»...

فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبوذر، والمقداد، وعمار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول النبي صلى الله عليه وآله - وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه - وهو يقول: «يا أيها الناس، إن الله أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي، والذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي، وأمركم فيه بولايته. وإني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لتبلغنها أو ليعذبني».

وأنَّ ما ذكره ابن أبي الحديد هو التالي:

ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً: يا براء، أيقتل الحسين وأنت حيٌّ فلا تنصره؟!

فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين!

فلما قتل الحسين عليه السلام، كان البراء يذكر ذلك؛ ويقول: أعظم بها حسرة! إذ لم أشهده وأقتل دونه!

والفرق واضح بين متن الروایتين لمن تدبر فيهما.

فحسرتة إذن أنه لم يشهد قتل الإمام الحسين عليه السلام، ويقتل دونه! فقد يكون

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ جملة من أخبار عليٍّ بالأمر الغيبية : ١٥ .

فوجئ بقتل الإمام عليه السلام، وتذكّر سؤال الإمام عليّ عليه السلام، وجوابه عنه: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين!

ولا ندري فلعلّ هناك سبباً حال دون أن يُوفق لنصرة الإمام عليه السلام، خاصة أنّ التاريخ لم يذكر لنا مواقف الكثيرين ممن لم يوقفوا لرفقة الإمام عليه السلام، وقد عرفوا بالولاء لأهل البيت وكانوا من شيعتهم سواء في المدينة أو الكوفة أو البصرة... هل منعوا وتعرضوا للمحاصرة والتضييق بل والسجن، أو أنهم كانوا متفرقين في البلدان، أو لم يخطر ببالهم أن يُجعبع بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ويمنع من الوصول إلى الكوفة حيث أنصاره ومريدوه..؟! وفاته رضوان الله عليه :

وبعد كلّ المشاهد التي حضرها بين يدي رسول الله ﷺ والمعارك الثلاث التي وقعت في خلافة الإمام عليّ عليه السلام ضدّ الناكثين أصحاب الجمل، والقاسطين معاوية وجنده، والمارقين الخوارج؛ فكان بين يديهما المباركتين مؤمناً مطيعاً، وجندياً مقاتلاً، وفارساً عنيداً.. إضافةً إلى فتوحات العراق وفارس، وفي قول كان فتح الري على يديه سنة (٢٤هـ) كما شهد فتح مدينة تُستر أو شوشتر.

بعد كلّ هذا، يُقال: إنه سكن الكوفة في آخر عمره، حتى توفاه الله تعالى فيها بعد أن بلغ من العمر الثانية والسبعين.

